د. عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين *

مكانة أهل الذمة في المجتمع الإسلامي حتى نهايـــة العصر العباســـي الأول

المقدمة :

لعل أهل الذمة وتعامل المسلمين معهم في المجتمعات الإسلامية من الموضوعات الـــتي تحتاج إلى مزيدٍ من الدراسات الجادة العميقة حتى تكشف الصورة عن أوضاع هذه الشـــريحة في المجتمع الإسلامي .

ذلك أن لبساً بيناً يحيط بهذه العلاقة وذلك التعامل ، يبدأ هذا اللبس بفهـــم المصـــطلح الذي وصف به الإسلام غير المسلمين من أهل العهد الذين شاركوا المســـلمين العـــيش في المجتمع الإسلامي ، أعني بذلك مصطلح أهل الذمة ، فيذهب الكـــثيرون إلى فهـــم هـــذا المصطلح فهماً خاطئاً ، فيرون الذمة قرينة المذمة والمذلة والمهانة والإنتقاص ، في حين أنها في حقيقة الأمر تنطوي على الإكرام والإحسان والأمان والحرمة ، بل هي في أصلها مـــأخوذة من أن لهؤلاء بحكم العهد الذي أعطاهم رسول الله صلى الله عليهم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده بالأمان وحسن المعاملة وأن على المسلمين مراعاة هذه الذمة ، فهم على ذلك ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقلت بعد وفاته إلى المسلمين ، الذين هـــم أولى الناس بإنفاذ عهده ومراعاة ذمته ، قال صلى الله عليه وسلم " ويسعى بذمتهم أدناهم " [1].

---

*أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة تعز

ويتناول هذا البحث مكانة هذه الشريحة من المجتمع الإسلامي ، بين المسلمين ، كيف نظر إليها المسلمون ؟ وكيف تعاملوا معها ؟ هل التزموا بتعاليم الإسلام في ذلك التعامل أم انساقوا مع أهوائهم ورغباتهم ؟ هل تعايشوا معها أم عزلوها وأقصوها ؟ هل مكنت هذه الشريحة من ممارسة حياتها وإقامة شعائرها بحرية ،أم ضيق عليها ، واضطهدت ؟ هل شهد التاريخ الإسلامي تجارب تصفيات عرقية على أساس الدين والجنس ؟ هل شهد تهجير وتشريد للمخالفين دينياً خارج حدوده الجغرافية ؟ أم ان العدل والتسامع والتعايش والرفق هو الذي ميز علاقة المسلمين بأهل الذمة ؟

مفهوم الذمة :

من الأخطاء التي وقع فيها الكثيرون وترتب على هذا الفهم مواقف وتصورات وأحكام، مفهوم أهل الذمة ، ففهمت الذمة على أنها قرينة المذلة والمهانة ، والانتقاص ، والحق أن هذا الخلط ناتج عن توجهات سلبية إزاء الإسلام بوصفه عقيدة وشريعة وإزاء المجتمع الإسلامي، الذي عاش لهذا الدين وبه حياته ، مؤثراً ومتأثراً بالحياة والأحياء من حوله ، فالذمة كما هي في القاموس اللغوي ، وفي الاصطلاح الفقهي وكما فهمها المجتمع الإسلامي بمسلميه وذمته، الحرمة والرعاية والحماية لكل من دخل في كنف الدولة الإسلامية من غير المسلمين بعهد ، توفى إليه حقوقه ما وفي للمسلمين ما عليه من واجبات .

وعلى هذا فأهل الذمة هم الذين تركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانة في أعناق المسلمين ، وبموجب هذه الأمانة يكون الإحسان إليهم والرفق بهم ، قال صلى الله عليه وسلم : " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة " [٢]، بل أنه وجه المسلمين إلى حرمة مال أهل الذمة ، ونهاهم عن الزيادة عليهم فوق ما صولحوا عليه ، فقال : " لعلكم تقاتلون قوماً فتظهرون عليهم فيتقونكم دون أنفسهم وأبنائهم وتصالحونهم على ذلك ، فلا تصيبوا منهم بعد ذلك شيئاً "[٣].

التزم الصحابة بهذه التوجيهات القرآنية والنبوية التي تأمر بالإحسان إلى أهل الذمة ، والوفاء لهم بحقوقهم ، وعدم الإفتيات عليهم ، وهو توجهاً عاماً لمسناه من تعاملهم مع أهل الذمة ، قال تعالى :" ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى "[٤]

ومن هذا قول (عبد اللّه بن رواحة) لما بعثه النبي صلى اللّه عليه وسلم يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهمم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم فقال:" والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه، وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض" هذا الفهم للذمة ارتبط برؤية الإسلام للإنسان وبالمكانة التي منحها الله للإنسان بوصفه خليفته في الأرض [٥] ، وقد ضل هذا الفهم للذمة في عهد الخلفاء الراشدين وفي العصور الإسلامية اللاحقة.

نظرة الإسلام إلى الإنسان

أولاً : وضع الإنسان في الحضارات القديمة :

إذا ما أردنا أن نعرف وضع أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ، يتوجب علينا أولاً أن ننظر إلى وضع الإنسان في ظل الحضارات السابقة ، ما معايير التمايز بين الناس .

فالبراهمية مثلاً تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى [٦]، أما قدماء اليونان فكانوا يعتقدون أنهم شعب متميز عن غيرهم بقدراتهم العقلية ، وأنهم لذلك المؤهلون الوحيدون للقيام بالأعمال العقلية ، ومن ذلك مهام القيادة والإدارة والتخطيط ، ويعتقدون بأنهم عنصر مفضل عن غيره ، وأنهم خلقوا من عنصر مختلف عن العناصر التي خلقت منها الشعوب الأخرى ، التي كانوا يطلقون عليها البربر ، وأنهم وحدهم كاملوا الإنسانية ، وقد ميزوا بجميع ما يمتاز به الإنسان عن الحيوان ، وأن الآلهة قد خلقت فصيلين من الناس ، فصيلة زودتها بالعقل والإرادة ، وهي فصيلة اليونان ، وفصيلة لم تزودها إلاّ بقوة الجسم وما يتصل به ، وهؤلاء هم البرابرة ، أي ما عدا اليونان من الناس ، وقد فطرتها الآلهة على هذا التقويم الناقص ليكون أفرادها عبيداً مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة ، ومن واجب اليونان أن يعملوا بمختلف الوسائل على أن يردوا هؤلاء إلى المنزلة التي خلقوا لها ، وهي الرق ، وكل حرب يشنها اليونانيين لهذه الغاية فهي حرب مشروعة [٧]

وكانت الدولة الرومانية تقسم رعاياها بحسب العنصر ، فالروماني الأصل مواطن من الدرجة الأولى ، يتمتع بحقوق وامتيازات عن غيره من الرعايا غير الرومان ، الذين يأتون في الرتبة الثانية ، وكذلك الأمر بالنسبة للفرس فالملوك هم كما يزعمون أبناء الآلهة مقدسون ،

وما سواهم عبيد مسخرين لخدمتهم ، وغير الفرس أقل شأناً من الفرس ، وقد يتعرضـــون للظلم والازدراء من الفرس .

وقريب من ذلك وضع غير العربي في القبائل العربية قبل الإســـلام ، فأبنـــاء القبيلـــة متميزون عن غيرهم من منتسبي القبيلة من الموالي والعبيد ، الذين توكل إلـــيهم الأعمـــال الوضيعة .

نظرة الإسلام إلى الإنسان :

ينظر الإسلام إلى الإنسان على أنه مخلوق مكرم محترم ، قال تعالى : " ولقد كرَّمْنا بني آدم وحملناهم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَـــثِيرٍ مِّمَّـــنْ خَلَقْنَـــا تَفْضِيلاً " (٨) ومن هذا التكريم أنّ خلق الإنسان كان أحسن خلق وأكمله ، خلقه في أحسن تقويم ، قال تعالى :" لقدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ "(٩) ، خلقه وأوجده من العدم ، فلم يكن قبل ذلك شيئاً ، قال تعالى :" هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَـــمْ يَكُـــن شَـــيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ من نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا" (١٠) .

ثم أن الله تعالى ميز الإنسان بالعقل وجعله مناط تكليفه بمهمة العبادة والاســـتخلاف في الأرض ، فاستخلفه في الأرض ومكنه مما ادخره له فيها من طاقات ، بل وعلمه أسرار هذه الأرض لينتفع بها وليسخرها لمصلحته بما علمه من معارف وعلوم لم يكن يعلمهـــا ، قـــال تعالى:" وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُـــونَ،وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـــؤُلاء إِن كُنـــتُمْ صَـــادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمِ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ " (١١) ، وقال في موضعٍ آخر :" خَلَقَ الْإِنسَانَ ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" (١٢) .

كما وهبه العقل ، الطاقة الخلاقة التي استطاع الإنسان بها أن يتغلب على قسوة الحيـــاة ويعوِّض بها إمكانياته الجسمانية الضعيفة نسبياً مقارنة بغيره من الحيوانات التي زودهـــا الله تعالى بوسائل لمواجهة قسوة الطبيعة ومتغيرات الحياة .

وكرم الله النفس البشرية ، وحافظ عليها من الإعتداء ، أو التعرض لها بـــأذاً ، فســـن التشريعات الكفيلة بحمايتها وردع من يعرض لها بسوء ، قال تعالى : " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِم فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (١٣) ، وقال عزوجل : " وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (١٤)، وقال تعالى : " وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا " (١٥) ، وقال أيضاً :" وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا" (١٦).

والرب في الإسلام ليس رباً عنصرياً ، بمعنى أنه ليس رباً للعرب ، أو حتى للمسلمين فحسب ، بل هو رب للعالمين ، قال تعالى :" إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"(١٧)، وقال عزوجل :" وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ "(١٨) ، وقال في موضع آخر :" فَلِلّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "(١٩)وقال تعالى : " تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ "(٢٠) وقال أيضاً :" وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (٢١) .

ورسالة الإسلام ليست مقصورة على قوم من الأقوام أو عنصر من العناصر ، بل هي للناس كافة ، كما أن شريعة الإسلام ليست كذلك لتنظيم حياة المسلمين فحسب ، بل منهج لتنظيم حياة الإنسان على الأرض ، لأن الله أراد الخير بهذا الدين للناس كافة .

وتتلخص نظرة الإسلام إلى الإنسان في وحدة الأصل ووحدة التكوين ووحدة المصير ، قال تعالى :" يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس وآحدة " (٢٢) ، كما بين أن ما حدث من توزيع للناس على الأرض وتقسيمهم إلى شعوب وقوميات وقبائل لم يكن للمباعدة فيما بينهم بقدر ما كان للتعارف والتقارب ، قال تعالى :" يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا " (٢٣)، وليس من مقتضيات الإيمان بالإسلام القطيعة مع غير المسلم ، بل أن الفقه الإسلامي نص على أن من مقتضيات الحياة ومن سنن الكون أن الإنسان يحتاج إلى أخيه الإنسان ، ولذلك وضع أسس العلاقات مع غير المسلمين سواء في دولة الإسلام أم في خارجها .

واجبات الدولة إزاء أهل الذمة :

يترتب على عقد الذمة حقوق وواجبات على المتعاقدين ، وهما الدولة الإسلامية وأهـــل الذمة ، وبموجب هذا العقد تمنح الدولة الإسلامية أهل الذمة جميع الحقوق التي أقرها الشرع لهم ، وتصبح هذه الحقوق ملزمة على المسلمين ، من هذه الحقوق حفظ النفس ، فدم الذمي مثل دم المسلم له حرمة ، فإن قتل مسلم أحداً من أهل الذمة اقتص منه ، فقـــد رفـــع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمـــة ، فـــأمر بالقصاص منه قائلاً :" أنا أحق من وفى بذمته "[٢٤] ، وسلّم عمر بن الخطاب رجلاً من بـــني بكر بن وائل قتل ذمياً إلى أولياء الدم فقتلوه "[٢٥] ، وأوصى الخليفة بعده بحسن معاملة أهل الذمة ، بعدم تكليفهم فوق طاقتهم ، حيث قال :" أوصي الخليفة بعدي بذمة رســـول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى إليهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهـــم ولا يكلفـــون فـــوق طاقتهم "[٢٦] .

حسن معاملة أهل الذمة :

لعل من القيم الإسلامية الأصيلة ، التي أكدت عليها تعاليم الإسلام ، قيمـــة الرفـــق ، والرفق في الإسلام قيمة مطلقة ، بمعنى أنها ليست مقيدة على تعامل المسلم مع المسلم ، بـــل في تعامله مع الناس ، كافة ، بل مع الحيوان والكائنات الأخرى ،بل أن هذه القيمة تتناسب تناسباً طردياً مع قوة المسلمين ، ومع مدى التزامهم بتعاليم دينهم .

أثبت ذلك الرصد التاريخي لمراحل التاريخ الإسلامي بين القوة والضـــعف الاســـتقامة والسقوط ، وأكدت هذه القيمة أدبيات الإسلام ومصادره التشريعية، قال تعالى :" إذهبا إلى فرعون إنه طغا ، فقولا له قولاً ليناً " ، وقال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلى الذين صـــبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم "[٢٧] ، وقال عزوجل :" قُل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمـــة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله .. "[٢٨] ، وقال عزمن قائل :" وجـــادلهم بـــالتي هـــي أحسن"[٢٩] وقال تعالى :" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن إلاّ الذين ظلمـــوا منهم وقولوا أمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلاهنـــا وإلاهكـــم وأحـــد ونحـــن لـــه مسلمون"[٣٠] ، وقال تعالى :" فبما نعمة من الله لنت لهم ولو كنت فظـــاً غلـــيظ القلـــب لانفضوا من حولك "[٣١] .

كما حفلت السنة النبوية بكثير من التوجيهات إلى هذه القيمة الدينية ، حتى يجعل منـــها المسلم معياراً للتعامل مع الناس ، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم الرفق منهجاً لدعوتـــه ، فتدرج في أبلاغ الدعوة رفقاً بالناس ، وكان رفيقاً بقومه من مشركي مكة عندما فتحهـــا ، وكان رفيقاً بأهل الطائف عندما اذوه ومكنه الله من الإنتقام منهم ، ولن نتمكن من إحصاء كل المواقف التي تبين تحلي النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق مع المسلم وغير المسلم.

وقد حفل التاريخ الإسلامي بالكثير من المواقف التي تجلت فيها حسن معاملة المسلمين لغيرهم من أهل الملل ، فعندما سأل عبد الله بن ربيعة عبد الله بن عمر عما يفعل مع أمه النصرانية ، أمره بالإحسان إليها ، قائلاً :" أحسن ولايتها وكفنها "[٣٢] ، وكان لعمر بن الخطاب مولاً نصرانياً يدعى (أسق) عرض عليه الإسلام فأبى فقال له لا إكراه في الدين ، ثم أعتقه لدى وفاته[٣٣].

ورفض معاوية بن أبي سفيان أن يقتل من لديه من رهائن الروم عندما غدر الـــروم بـــه ونكثوا عهده ، وقال :" وفاء بغدر خير من غدر بغدر " [٣٤] .

وفي الاندلس اتسمت معاملة المسلمين لأهل البلاد المفتوحة بالتسامح الذي أشاد به غير المسلمين قبل المسلمين، [٣٥]، تمثل هذا التسامح مع غير المسلمين في المعاملات والمجاملات ، فلم يتدخل المسلمون في شيئ من عقائدهم وعاداتهم وأساليب عيشهم .[٣٦] وقد أتاح هذا التسامح من قبل المسلمين إلى زيادة التأثيرات الاجتماعية بين المسلمين والأسبان ، لدرجة أن الدول المسيحية المناوئة للدولة الاّسلامية في الشمال الأسباني لم تجد مبرراً ، للمطالبة بحماية الرعايا المسيحين ،وكذلك لم تفعل الدولة الفرنجية التي كانت تتربص أحياناً بالأندلس [٣٧].

هذا التسامح لم ينله المسلمون من الأسبان بعد أن سقطت دولة الإسلام في الأنـــدلس ، بل ووجهوا بأساليب القمع والتطهير العرقي ، وأجبر من نجا من القتل على تـــرك دينـــه ، والانسلاخ من قيمه وعاداته ، وتغيير لسانه وإسمه وأساليب حياته .

معاملة أهل الذمة أمام القضاء الإسلامي :

ينظر الإسلام إلى الإنسان بوصفه خليفـــة الله في الأرض ، خلقـــه الله وكرّمـــه ، وإلى الرسالات السماوية أنها استهدفت هداية هذا الإنسان إلى السبيل القويم من خـــلال رســـم الخطوط العامة لحياة الإنسان في الإرض حتى تسير الأمور فيها إلى غايتها ، وحـــتى يحقـــق

الإنسان الغاية التي خلق من أجلها العبادة والعمارة ، وينظر إلى العدل بوصفه الضابط الذي يكفل استقامة حياة الإنسان على الأرض ، وهو لذلك يطلبه ويشدد على إرساء دعائمه في الأرض بين الناس ، وهو لذلك يساوي بين المسلم وغير المسلم من رعايا الدولة الإسلامية أمام القانون المدني والجنائي ، فحمى حقوق أهل الذمة كما حمى حقوق المسلم ، وعاقب الذمي على الجرائم التي اقترفها كما عاقب المسلم ، وحرّم دم الذمي وعرضه وماله كما حرّم دم المسلم وعرضه وماله .

هذه القيم النظرية لم تكن بعيدة عن الواقع ، لا بل كانت الممارسات العملية التي شهدها السياق التاريخي الإسلامي تصدقها ، وتؤكد على واقعيتها ، فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يعدل في تعامله مع يهود خيبر عندما أعطاهم الأمان دون أن يلتفت إلى ما فعله بعضهم به ، فقد كان فيهم أهل بيت فيهم شدة على الرسول صلى الله عليه وسلم وفحش ، فقال :" يابني الحقيق عرفت عداوتكم لله ولرسوله ، ثم لم يمنعني ذلك من أن أعطيكم ما أعطيت أصحابكم "[٣٨]،وعندما تقاضاه يهودي وأساء التقاضي فأغلظ للنبي في القول ، ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ أن عفا عنه وتسامح معه، قائلاً لأصحابه بعد أن هموا به:"دعوه فإن لصاحب الحق يداً ولساناً " [٣٩].

واختصم الإمام علي بن أبي طالب في خلافته مع يهودي إلى قاضيه شريح في درعٍ له وجدها عند اليهودي ، فطلب منه القاضي أن يثبت بالشهود ملكيته للدرع ، فأتى بالحسن وبأحد نواليه ، فلم يقبل شهادة الحسن لأبيه ، قائلاً :" يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين "، ثم إنه أعطى الدرع لليهودي ، فقال اليهودي : أمير المؤمنين مشى معي إلى قاضه وحكم قاضيه عليه ، هذه والله أحكام أنبياء ، صدقت ياأمير المؤمنين الدرع درعك سقطت منك وأنت عائد من صفين فالتقطتها ، أشهد أن لا إلاه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله[٤٠].

وبالرغم من كل هذا التوخي للعدل ، والتحري للحق والحذر من الوقوع في الجور ، ظل القضاة والحكام يحاسبون أنفسهم ويؤنبونها ، لعلها أن تكون قد حدثتهم في يوم ما في الميل مع الهوى ، أو التمييز بين الخصوم ، على أساس الشرف والجاه والسلطان ، ولنستمع إلى هذا الاعتراف من القاضي أبو يوسف ، في اللحظة الفاصلة بين الحياة والموت ، وهو يحاسب نفسه في آخر عهدها بالدنيا وأول عهدها بالآخرة ، قائلاً : " لئن جُرت في القضاء بين

عباده لم أجره إلاّ مرة واحدة ، ادعى فيها يهودي على هارون الرشيد دعوى ، فأحضرت هارون الرشيد واليهودي ، فلما حضرا قلت لليهودي قم واجلس حيث يجلس خصـــمك ، وما قلت لهارون قم واجلس حيث يجلس خصمك "[٤١] .

بهذه الحاسة المرهفة ، وبهذا الشعور العالي بالمسؤولية ، بهذه العبارات التي تقطر تقـــوى وتشع إيماناً وتندى صلاحاً ، بيّن القاضي أبو يوسف الأخطاء التي يمكن أن يكون قد وقـــع فيها ووقع منه الجور في أقضيته ، وبيّن مع ذلك المستوى الحضاري الراقي الذي تعامل بـــه المسلمون مع غيرهم عندما تسيّدوا الأرض وكيف نَعَمَ غيرهم بالعدل والإنصاف في دولـــة الإسلام ، بيّن أن ثمة فرق بين مَدَنية حملت للإنسانية الحروب والدمار ، وبـــين حضـــارة جاءت رحمة للعالمين .

حماية أموال أهل الذمة :

نظر المجتمع الإسلامي إلى أموال أهل الذمة على أنها ملكيات خاصة محترمـــة ، لا يجـــوز حيازتها بدون حق ، أو إلحاق الضرر بها ، تتضح هذه النظرة من خلال نظرة الشرع لأموال أهل الذمة ، ومن خلال تعامل الدولة والناس معها ، فقد مات رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ودرعه مرهون عند يهودي بمال أخذه منه ، وعندما أجلى عمر بن الخطاب لـــدواعي أمنية يهود الحجاز عوضهم عن أرضهم ودورهم ونخيلهم في الشام وفي العراق .[٤٢] وبلغت درجة تحري المسلمين في التعامل مع أموال اهل الذمة أن الخلفاء والولاة كـــانوا يحـــذرون القادة والجنود عندما يمرون بقرى وبأراضي أهل الذمة من إلحاق الأذى بأهلها أوبممتلكاتهم أو لأن أنفسهم وأموالهم محترمة ومحروزة ، وإذا اضطر المسلمون لأخذ بعض هذه الأموال يعوض أصحابها ، فقد شكا ذمي لعمر ابن الخطاب عندما كان بالجابية أن الناس قد أسرعوا في عنبه ، فنهاهم عن ذلك ، لكن الناس اعتذروا إليه بأنهم في مجاعة ، فأمر لصاحب العنب بقيمة عنبه [٤٣]، وكان خالد بن الوليد ينهى جنوده عن الإعتداء على أموال أهـــل الذمـــة حيث يقول :" ولا ترزأ معاهداً إبرة فما فوقها "[٤٤] ،ونهى عبد الله بن عباس عن أن يؤخذ من أموال أهل الذمة فوق ما صولحوا عليه [٤٥]، وكان الناس في جيش علي عندما خـــرج لملاقات الخوارج يتناهون فيما بينهم عن أخذ شيئ من ما ل أهل الذمة ، فيذكر أن أحدهم تناول ثمرة ساقطة من بستان لبعض أهل الذمة فألقاها في فيه فقال له بعضهم :" ثمرة معاهد

فيم استحللتها ؟ فألقاها من فيه ، ثم مروا بخنزير فقتله أحدهم بسيفه فقال له بعضهم خنزير معاهد ، فبم استحللته" ؟[٤٦] ، وحذر أبو هريرة رجلاً ذهب للجهاد من العبث بمال أهل الذمة ، قائلاً :" لا تطأ حرثاً وإياك والمخلاة والمخلاتين من أموال أهل الذمة ثم تقول أنا غازٍ"[٤٧] ،وكان أبو الدرداء يترل القرى من قرى أهل الذمة فلا يزيد على أن يشرب من مائهم ويستظل بظلهم وترعى دابته من مراعيهم ، فيأمر لهم بالشيء أو بالأفلاس "[٤٨].

وأمر عمر بن عبد العزيزي برد مظالم أهل الذمة إن وجدت في عهد أسلافه ، عندما كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قائلاً :" استبرئ الدواوين فانظر إلى كل جور جاره من قبلي من حق مسلم أو معاهد فرده عليه ، فإذا كان أهل المظلمة قد ماتوا فادفعه إلى ورثتهم "[٤٩].

وكان من حماية أموال أهل الذمة والرفق بهم وعدم تكليفهم فوق ما صولحوا عليه من الجزية والخراج ، فقد درج بعض الولاة على فرض زيادة على ما يؤديه أهل الذمة من مال لإعانة موظفي الدولة الذين يمرون بقرى أهل الذمة ، مثل أجور الفيوج ، ودراهم النكاح ، أو تلك الأموال التي اعتاد أهل الذمة على أداءها لحكامهم مثل هدايا النيروز والمهرجان ، فأديت للدولة في بعض الأقاليم ، ويظهر ذلك من موقف الخليفة عمر بن عبد العزيز عندما منع أخذ هذه الأموال الزائدة على ما صولح عليه أهل الذمة [٥٠] وأعاد خراج أهل قبرص إلى القدر الذي صالحوا معاوية عليه وألغى الزيادة التي فرضها عليهم عبد الملك بن مروان[٥١].

ومع كل هذا التيسير والرفق ، فلم يكن كل ذمي ملزم بالجزية مهما كانت حالته الاقتصادية ، وإنما كان المسلمون يأخذها من الأغنياء ، والقادرين على الكسب ، ولذلك كان يعفى من أدائها الفقراء والمعوزين من أهل الذمة ، بل إن الدولة في حالات كثيرة كانت تنفق على العجزة والزمنى من أهل الذمة من بيت مال المسلمين فقد أجرى عمر بن الخطاب على شيخ من أهل الذمة وجده يسأل الناس من بيت مال المسلمين، قائلاً له :" والله ما أنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك "[٥٢] .

وقد تكرر هذا الموقف مفي العصر الأموي من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز ، إذ كتب إلى واليه على البصرة ، عدي بن أرطأة يأمره بكفالة الضعفاء من أهل الذمة من بيت مال المسلمين، حيث قال :" انظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فاجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه "[٥٣] .

أساليب جباية الخراج والجزية :

مما يدل على المكانة التي تمتع بها أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ، أساليب التعامل معهم في جباية الخراج والجزية ، فقد حرصت الدولة الإسلامية في مراحلها المختلفة على تـــوخي الرفق واللطف في تحصيل هذه الأموال منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان الخلفاء الراشدون وكثيرممن أتى بعدهم يختارون لهذه المهمة أشخاص يمثلون القيم الإسلامية ونظـــرة الإسلام إلى أهل الذمة على أنهم جزء من المجتمع الإسلامي توفى إليهم حقـــوقهم مـــا أدوا التزاماتهم إزاء الدولة ، بل أن المجتمع عاملهم بنوع من الرحمة والإحسان ، اقترن هذا الرفق والإحسان بالتزام المجتمع الإسلامي بقيم وتعاليم الإسلام ، فالكتاب والســـنة يـــدعوان إلى الإحسان إلى غير المحاربين من غير المسلمين ، قال تعالى :" لا ينـــهاكم الله عـــن الـــذين لم يقاتلونكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقســـطوا إلـــيهم إن الله يحـــب المقسطين "(٥٤) ، وقال صلى الله عليه وسلّم :" من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفـــه فوق طاقته أو أخـــذ منه شيئاً دون طيب نفـــس فأنا حجيجه يوم القيامة "(٥٥) .

قسمت الجزية في عهد عمر بن الخطاب بحسب القدرة المالية لأهل الذمة ، فعلى الأغنياء ثمانية وأربعون درهماً وعلى متوسطي الدخل أربعة وعشرون درهماً وعلى الفقـــير المعتمـــل إثناعشر درهماً (٥٦) ، ومع ذلك فقد كان بعض هؤلاء يُعفـــوْن منـــها إذا عجـــزوا عـــن أدائها.

وكان الخلفاء يحذرون عمالهم من القسوة والبطش في جمع الجزية والخراج ، ويعاقبون من يثبت عليه سوء معاملة أهل الذمة ، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب أتاه مال كثير من الجزية، فقال لمن أتاه به من عماله :" إني لأظنكم قد أهلكتم الناس ، قالوا والله ما أخذنا الأ عفـــواً صفواً ، قال بلا سوط ولا نوط ، قالوا نعم قال الحمد لله "(٥٧) ، وكان يتمســـك بـــالولاة الذين يرفقون بالناس في جمع الخراج ، فعندما تأخر سعيد بن عامر عن إيصال الخراج عـــلاه عمر بالدرة ، فقال سعيد :" سبق سيلك مطرك إن تعاقب نصـــبر وإن تعـــف نشـــكر وإن تستعتب نعتب ، فقال له عمر : مالك تبطئ بالخراج ؟ ، فقال سعيد : أمرتنـــا أن لا نزيـــد على الفلاحين على أربعة دنانير ،فلسنا نزيدهم ،ولكنا نؤخرهم إلى غلاتهم ، فقال عمر : لا عزلتك ما حييت "(٥٨) .

وكان علي بن أبي طالب يحذّرعماله من البطش والشدة في جباية الجزية والخراج ، فيروى أنه استعمل رجلاً من ثقيف على عكبراء فقال له :" لا تبيعن لهم في خراجٍ حماراً ولا بقرة ولا كسوة شتاء ولا صيف وارفق بهم "[٥٩] وكان إذا بلغه عن بعض نوابه شدة على الناس في طلب الخراج ، قال :" اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك ولا يتركوا حقك"[٦٠].

بل إن العلماء كانوا يتدخلون أحياناً لدى الولاة للتخفيف عن أهل الذمة من الخراج ، فيروى أن نصرانياً أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل ، ليشفع له عند والي بعلبك ليخفف عنه مقدار الخراج ، فقال الأوزاعي : إن شئت رددت الجرة وكتبت لك ، وإلاّ قبلت الجرة ولم أكتب لك ، فرد الجرة وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً "[٦١].

وكان من مجالات الرفق في جباية الجزية والخراج ، أن تأخذ من عين ماينتجه أهل الذمة، فكان علي بن أبي طالب يأخذ الجزية من صاحب الإبر إبراً ، ومن صاحب المسان مساناً ومن صاحب الحبال حبالاً ، رغبة في التخفيف على أهل الذمة ،[٦٢] ، كما روعي فيه خصوبة الإقليم وثراءه وسهولة الري ، ونوع المحصول والقرب من الأسواق .[٦٣]

وهكذا فقد كان الرفق هو المنهج المتبع والسياسة النافذة في تعامل المسلمين مع أموال أهل الذمة ، في الجباية ، وكان الرفق يصل إلى أن يعاقَب الولاة ويعزلون لإساءتهم في التعامل مع أهل الذمة.

مشاركة أهل الذمة في المناسبات الاجتماعية :

لعل مما يوكد على المكانة التي تمتع بها أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ، وعلى روح التسامح التي عامل بها المسلمون غيرهم ممن عاشوا في دار الإسلام ودخلوا في نسيجه الاجتماعي ممن عرفوا بأهل الذمة ، فعاش عدد كبير منهم إلى جانب المسلمين في مدنهم وقراهم ، مما أدى إلى تأثرهم بالثقافة الإسلامية ، وإلى سريان روح التعايش بينهم وبين المسلمين ، فشاركهم المسلمون مناسباتهم الاجتماعية وفي أعيادهم الدينية والقومية ، بل ودخل معهم المسلمون في مصاهرات ، وفي تعاملات مالية ، وكان لكل هذا الاحتكاك والتسامح أثره في التعايش بين المسلمين وأهل الذمة ، وفي بقاء أهل الذمة إلى هذه اللحظة يمثلون جزءً من نسيج المجتمع الإسلامي ، محتفضين بكنائسهم ومعابدهم وبكل خصوصياتهم.

فساكن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود في المدينة ، وكان يبادر إلى حسن معاملتهم والتودد إليهم علّ ذلك يحملهم على مبادلته هذا السلوك ، وجامل عمر بن الخطاب النصارى في أذرعات في رحلته إلى بيت المقدس عندما قابله أهلها بالسيوف والريحان وقد هم بردهم لولا أنه نزل عند رأي أبا عبيدة عندما نبهه إلى أنه إن ردهم يروا أن في نفس الخليفة نقضاً لعهدهم فتركهم يعبرون بطريقتهم [٦٤] ..

ومن مظاهر التسامح والتعايش بين المسلمين وبين غيرهم ممن عاش في المجتمع الإسلامي ، عياد مرضاهم ، واتباع جنائزهم ، والأكل من أطعمتهم وذبائحهم ، والزواج منهم .

فقد زار النبي صلى الله عليه وسلّم يهودياً في مرضه [٦٥]، وكان الخليفة أبـــو جعفـــر المنصور يعود جورجيوس الطبيب في مرضه [٦٦] ، كما شهدت العلاقات بين المسلمين وأهل الذمة ، ألوان من التعاطي الإيجابي ، من ذلك تهنئتهم في المناسبات السعيدة مثل الـــزواج ، والولد ، وقدوم الغائب ، أوالشفاء من مرض ، أو السلامة من مكـــروه ، وغيرهـــا مـــن المناسبات الطيبة ، بل أن مسلمي الأندلس كانوا يشاركون النصارى في أعيادهم واحتفالاتهم المختلفة [٦٧].

وفي المقابل واسى المسلمون أهل الذمة في المناسبات الحزينـــة ، فعـــزوهم في موتـــاهم ومصائبهم ، وعادوا مرضاهم ، واتبعوا جنائزهم ، فقد أجاز الإمام أحمد بن حنبـــل زيـــارة مرضى النصارى ،و اتباع جنائزهم [٦٨] ،، وتعزيتهم،حيث قال:" إذا عزّيت الـــذمي فقـــل له:لا يصيبك إلاّ خير "[٦٩].

كما شارك المسلمون أهل الذمة في أطعمتهم وأشربتهم المباحة للمسلمين ، فأكلوا مـــن ذبائحهم ، لأن الله تعالى أحل ذلك ، حيث قال :" وطعام الذين اوتوا الكتاب حـــل لكـــم وطعامكم حل لهم " ، وعندما سئل الإمام أحمد عن ذبائح أهل الكتاب قـــال : " لا بـــأس بها"[٧٠].

وكان من مجالات التعايش بين المسلمين وأهل الذمة في المجتمع الإسلامي ، المصـــاهرات التي ربطت أهل الذمة بعلاقات اجتماعية وثقت صلت هذه الشريحة بالمجتمع الإسلامي ، فلا يوجد ثمة مانع في التشريع الإسلامي من زواج المسلم بكتابية [٧١] ، فتزوج رسول الله بمارية القبطية ، وتزوج عدد من المسلمين بكتابيات ، وفي الأندلس تزوج عـــدد مـــن المســـلمين

بمسيحيات ، فتزوج عبد العزيز بن موسى بن نصير من أرملة لذريق ، (أم عاصم) ، كما تزوج المنصور بن أبي عامر بأميرة نافارية [٧٢].

وهكذا ففي ظل هذا التسامح والتعايش الذي نعم به أهل الذمة في المجتمع الإسلامي مارسوا طقوسهم وأنشطتهم في حرية تامة ، كما تبنى غير المسلمين نتيجة لهذا التسامح العادات والثقافة الإسلامية ، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية ، بل قاد البعض منهم إلى اعتناق الإسلام .

كفالة الحرية الدينية لأهل الذمة :

لم تلق أقلية دينية عبر التاريخ مساحة من الحرية في ممارسة شعائرها الدينية ، وأمان على ممتلكاتها الدينية،ما لقاه أهل الذمة في المجتمع الإسلامي ، فقد كفلت لهم الدول الإسلامية المتعاقبة حرية ممارسة شعائرهم الدينية، والاحتفال بأعيادهم ، وحافظت على كنائسهم وأديرتهم ومعابدهم ، وأتاحت لهم ممارسة العادات التي درجوا على القيام بها برغم مخالفتهم لتعاليم الإسلام وقيمه ، مثل شرب الخمور وأكل لحم الخنزير ، وهو السلوك الذي تعامل به المجتمع الإسلامي معهم .

ولعل وجود غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية المعاصرة حتى الأن محتفظين بحريتهم الدينية وبكنائسهم وكافة مرافقهم الدينية ، في وقت كان بإمكان المسلمين أن يجبروهم على ترك دياناتهم واعتناق الإسلام ، كما حدث في أسبانيا بعد سقوط الحكم الإسلامي فيها ، لأوكد دليل على مدا ما تمتع به غير المسلمين في المجتمع الإسلامي من حرية دينية .

فقد كفل النبي صلى الله عليه وسلم ليهود المدينة واليمن حريتهم الدينية ، وفعل ذلك الخلفاء الراشدون مع أهل البلاد المفتوحة في الشام والعراق ومصر ، فتحرك الخليفة عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام ليتسلم مفاتيح مدينة بيت المقدس ، ثم رفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يتخذها المسلمون مصلا فيسلبون بذلك حق النصارى في كنيستهم ، وعندما خاصم نصارى دمشق بعض المسلمين في كنيسة كانت اقطعت لهم ، ردها عمر بن عبد العزيز إلى النصارى [٧٣] ، ونهى عن توسعة مسجد دمشق على حساب كنيسة للنصارى ، وسمح العباسيون لرعاياهم من المسيحيين ببناء عدد من الكنائس الجديدة مثل كنيسة أبي سرجة في الحصن الروماني بمصر ، وفي عهد المهدي بنيت ببغداد كنيسة للمسيحيين الذين أسروا خلال الحملات العسكرية ، وسمح الرشيد ببناء كنيسة أخرى في البصرة [٧٤] .

الاستعانة بأهل الذمة :

إن مما يدل على المكانة الكبيرة التي تبوأها أهل الذمة في المجتمع الإسلامي استعمال العديد منهم في وظائف الدولة ، ووصول البعض منهم إلى أماكن مرموقة في أجهزة الدولة خصوصاً في الحقبتين الأموية والعباسية ، الأمر الذي يدل على مقدار التسامح الذي تعامل به المسلمون مع أهل الذمة ، للحد الذي جعل البعض منهم يصل إلى مراكز حساسة ، أساء بعضهم استخدامها وألحقوا الضرر بالدولة وبالناس .

كما استعان بهم الناس في كثير من الأعمال التي يحتاجون إليها في حياتهم اليومية ، بل أن مجالات من العمل قد أوكلت إليهم .

شتملت الاستعامة بأهل الذمة مجالات مختلفة منها ما كان حكومياً فعملوا في الدواوين ، وفي جباية الخراج ، وفي الكتابة للخلفاء والأمراء والولاة ، وفي الترجمة وفي المهمات الخاصة للخلفاء والأمراء ، فكان منهم أطباء الخلفاء ومستشاريهم في بعض القضايا ، ومنها ما كان شعبياً اقتصادياً فاستعان بهم المجتمع في القيام بكثير من الحرف والأعمال ، مثل الصياغة والحدادة والنجارة والطب والبناء ، بل إنهم احتكروا كثير من الحرف اليدوية ، الأمر الذي كون لديهم فوائض مالية ، جعلتهم يتمتعون برغد العيش مما لم يتوفر لكثيرٍ من المسلمين .

ففي عصر الدولة الأموية تبوأت أسرة رومية من أهل الذمة مكانة كبيرة في الدولة ، فكان سرجون ابن منصور الرومي كاتباً لمعاوية بن أبي سفيان [٧٥] ،واستمر سرجون بعد ذلك مستشاراً ليزيد بن معاوية [٧٦] ، ثم أصبح إبنه منصور بن سرجون كاتباً على ديوان خراج الشام حتى تم نقل الديوان إلى العربية في عهد عبد الملك بن مروان [٧٧]. ، واستعمل عبيد الله بن زياد على الخراج رجلاً من أهل الذمة [٧٨].

كما استعمل المسلمون عدد من أهل الذمة في أعمالهم الخاصة ، فكان لأبي عوانة وكيل نصراني يجبي غلته [٧٩].

وشهد العصر العباسي تسامحاً كبيراً مع أهل الذمة وصل معه بعضهم إلى بلاط الخلفاء ، واصبحوا من خواصهم وإن كانوا من ناحية أحرى قد مثلوا خطراً أمنياًعلى الدولة ومستودع أسرارها من خلال وجودهم إلى جانب الخلفاء والوزراء لعملهم في تطبيبهم وفي بعض الأعمال الأخرى .

– عمل أهل الذمة في تطبيب الخلفاء :

اشتمل البلاط العباسي ، ابتداء من عهد المنصور حتى خلافة المتوكل ، على عدد كبيرمن أهل الذمة ، لتطبيب الخلفاء والأمراء العباسيين ، وقد حازوا لذلك مكانة مرموقة لدى الخلفاء [٨٠] وأتاح لهم ذلك من ناحية أخرى ، الإطلاع على ما يدور في البلاط العباسي .

استعمل المنصور عدداً من أهل الذمة كأطباء خصوصيين له أمثال(جورجيوس ابن جبريل[٨١] الذي اهتم به المنصور ومكّن له،فأمر أن يجاب إلى كل ما يسأل [٨٢] ، وبلغ من شده تعلقه به وحبه له ، أنه رغب في أن يسلم، فيذكر أنه عرض عليه الإسلام عند احتضاره قائلا: " يا جورجيوس اتق الله وأسلم وأنا أضمن لك الجنة [٨٣] إلا أنه رفض ، وقد حزن عليه المنصور بعد أن توفي [٨٤] رشح جورجيوس أحد تلاميذه ويدعى عيسى بن شهلا[٨٥] لتطبيب المنصور قائلا : " إني أخلّف بين يدك عيسى ، وهو تربيتي "[٨٦]، وأصبح عيسى بن شهلا في خدمة المنصور ، فقربه وأكرمه ، ومكّن له ، إلاّ أنه استغل ذلك في ابتزاز بعض المطارنة[٨٧] والأساقفة [٨٨] أموالهم ، وهو ما نلمحه فيما كتبه إلى مطران نصيبين [٨٩] ، ما يدل على خطورته على الخلافة في رمزها ، حيث قال : " ألم تر أن أمر الملك بيدي إن شئت أمرضته وإن شئت عافيته " [٩٠] ، وبغض النظر عن مدى جديته، إلا أننا نلمح منه إضمار الخيانة للمسلمين ، وعدم الإخلاص لهم رغم ما أحاطوه من عناية ، وما حظي به من مكانة لديهم ، ومهما يكن من أمر ، فإن المنصور عرف من عيونه فحوى تلك الرسالة ، فأمر بنفيه بعد أن جرّده من كل ما أعطاه [٩١] ، واتخذ المهدي بختيشوع [٩٢] لتطبيبه ، فظل في خدمته وفي خدمة ولديه الهادي والرشيد ، وقد حظي بمكانة مرموقة في بلاط الرشيد ، فعينه رئيساً للأطباء [٩٣] ، إلا أن ذلك لم يثنه عن التآمر على الخليفة وكبار رجال دولته ، حقدا منه على الإسلام وأهله ، فلم يستطع إخفاء رغبه في النيل منهم، وقد ظهر ذلك عندما أكّد للرشيد وفاة أحد أركان دولته إبراهيم بن صالح بن علي [٩٤] ، فكاد الرشيد أن يدفنه لولا أن جعفر البرمكي أشار عليه باستشارة طبيب آخر ، فأتى بطبيب هندي فكشف خيانة بختيشوع ، عندما أعاد الكشف على إبراهيم فوجده حياً ، فعاش إبراهيم بعد ذلك وتزوج وولي فلسطين[٩٥] ، ثم خلفه جبرائيل بعد ذلك ، فعمل لدى الرشيد والمأمون ، ثم خلفه ابنه بختيشوع الثاني حتى نفاه المتوكل[٩٦]، وقد اكتسب بالطب ما لم يكتسبه غيره [٩٧] وكان يوحنا بن ماسويه [٩٨] طبيباً لكل من المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل، وله عدد من المصنفات ، واختص ميخائل الطبيب [٩٩] بتطبيب الواثق.[١٠٠] .

– استعمال أهل الذمة في خدمة الخلفاء وفي الوظائف المالية والإدارية :

كما استعمل أهل الذمة في عدد من المجالات ، مثل خدمة الخلفاء ، وفي الترجمة ، وفي بعض الوظائف المالية فخدم الفضل بن مروان [١٠١] في بلاط كل من المـأمون والمعتصـم ، وكان حظياً لديهما [١٠٢] ، وجعل الرشيد يوحنا بن ماسويه مشرفاً عاماً على ترجمة الكتب ، من اليونانية والسريانية [١٠٣] واتخذ المأمون من سهل بن مروان [١٠٤] ، والياً علـى بيـت الحكمة [١٠٥] ، وكان من جملة من يخدم المعتصم أخوان مسيحيان بلغا منزلة سامية لديه هما سلمويه وإبراهيم [١٠٦] .

إجراءات بعض الخلفاء ضد أهل الذمة

اتخذ عدد من الخلفاء إجراءات عقابية ضد أهل الذمة مثل عزل الـبعض منـهم عـن الوظائف التي كانوا يشغلونها ، أو مصادرة أموالهم ، أو النفي والسجن ، وغيرها من وسائل العقاب ، إلاّ أن هذه الإجراءات كانت في أوقات محدودة ، ونتيجة لإساءت بعض هـؤلاء استخدام الوظائف والسلطات التي عملوا بها .

فقد أدى إفراط بعض الخلفاء العباسيين في التسامح مع أهل الذمة إلى التفريط في حقوق المسلمين ، من جهة ، لأنهم فضلوا أهل الذمة عليهم في الاستئثار بالوظائف والأعمال ، خصوصاً وقد أساء بعض أهل الذمة استخدام هذه الوظائف وألحقوا الضرر بالمسلمين وبأهل الخراج ، من ناحية ، وبالمال العام من ناحية أخرى ، وهو ما نلمسه من الشكايات التي كانت تصل الخلفاء من المسلمين ضد بعض موظفي الدولة من أهل الذمة خصوصاً في العصر العباسي الذي شهد وصول عدد كبير من أهل الذمة إلى مراكز مؤثرة في جهاز الدولة ، فشكا الناس إلى المنصور ظلم موظفيه من أهل الذمة الذين كلفهم بتتبع أموال بني أمية [١٠٧]، وعبر عن هذا الاستياء ، أحد العلماء عندما نبه المنصور إلى المظالم التي اقترفها عماله من أهل الذمة ، قائلاً :" يا أمير المؤمنين سلطت أهل الذمة على المسلمين ظلموهم وعسفوهم وأخذوا ضياعهم وغصبوا أموالهم وجاروا عليهم " [١٠٨] ، وقويت شوكة أهل الذمة في خلافة المهدي حتى تضرر منهم المسلمون وتوجهوا إلى العلماء ليتدخلوا لدى الخليفة حتى يرفع عنهم سطوة موظفيه من أهل الذمة [١٠٩] ، وكان له كاتباً نصرانياً في البصرة ظلم الناس في معاملته ، فشكوه إلى قاضي البصرة سوار بن عبد الله [١١٠] .

وأوهم طبيباً نصرانياً الرشيد بموت أحد قادة جيشه عندما كشف عليه وكادوا يدفنونه، فأتوا بطبيب هندي فبين لهم أن الرجل لم يمت ، فعاش بعد ذلك وتزوج وولي فلسطين [١١١].

ولما زار المأمون مصراً أتاه الناس يشكون عمال الخراج من أهل الذمة [١١٢] ، واكتشف المتوكل أن موظفيه من أهل الذمة يسعون إلى إفساد مابيته وبين القادة والموظفين من المسلمين ، وأن بعضهم ينتهبون المال العام [١١٣] ، فأقصاهم عن الوظائف الحساسة ، وحاسبهم على الأموال التي استحوذوا عليها من المال العام ، فأمر في سنة (٢٣٣ هـ / ٨٤٨م) بمحاسبة إبراهيم بن الجنيد النصراني ، وكان كاتبا حتى أقر بسبعين ألف دينار ، فاستخرجها منه ، وأودعه السجن [١١٤].

وهكذا فإن تصرف الخلفاء المسلمين مع بعض أهل الذمة على نحو من الإقصاء من الوظائف المهمة في الدولة لم يكن إلاّ بسبب إساءتهم استخدام هذه الوظائف على نحوٍ ألحق الضرر بالمسلمين .

الهوامش

(١) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الديات ، باب يقاد من القاتل ، حـديث رقـم ٤٥٢٧ ، جـ٤ ، ص ١٨٠، دار الفكر ، د.م .

(٢) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب التشديد في جباية الخراج ، حديث رقم : ٣٠٥٢ ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٣) رواه الترمذي في سننه ، كتاب السير ، باب لا يأخذ المسلمون من ثمار أهل الذمة ولا أمـوالهم شـيئاً ، جـ٩ ، ص ٢٠٤ .

(٤) سورة :المائدة ، أية :٨

(٥) أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، جـ٣، ص ٣٦٧.

(٦) حقوق الإنسان في الإسلام ، ص ١١.

(٧) حقوق الإنسان في الإسلام ، ص ١٢ .

(٨) الإسراء ، الآية ٧٠ .

(٩) التين ، الآية ٤ .

(١٠) الإنسان ، الآية ١– ٢ .

(١١) البقرة ، الآيات ، ٣٠– ٣١ – ٣٢ – ٣٣ .

(١٢) الرحمن ، الأيتان ٣–٤ .

(١٣) المائدة ، الآية ٤٥ .

(١٤) الأنعام ، الآية ١٥١ .

(١٥) الإسراء ، الآية ٣٣ .

(١٦) الفرقان ، الآية ٦٨ .

(١٧) البقرة ١٣١ .

(١٨) البقرة ، الآية ٢٥١ .

(١٩) الجاثية ، الآية ٣٦ .

(٢٠) الواقعة ، الآية ٨٠ .

(٢١) الشعراء ، الآية ١٩٢ .

(٢٢) النساء ، الآية : ١٠ .

(٢٣) الحجرات ، الآية: ١٣ .

(٢٤) رواه الشافعي في مسنده ، كتاب القصاص والديات ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، انظر كذلك ، نظرية الإسلام وهديه ، ص ٣٤١ .

(٢٥) الإسلام وهديه ، ٣٤٢ .

(٢٦) يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ، ص ٧٤ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعرفة بيروت .

(٢٧) فصلت ، الآيتان : ٣٤ – ٣٥ .

(٢٨) آل عمران ، الآية: ٦٤.

(٢٩) النحل ، الآية :١٢٥ .

(٣٠) البقرة ، الآية : ١٣٣

(٣١) آل عمران ، الآية :١٥٩ .

(٣٢) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ١٥٢.

(٣٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ١٥٨.

(٣٤) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٣٥) الحجي ، أندلسيات ، جـ ٢ ، ص ٢٣، ٢٤ ، عن رينو ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٥٦، ٢٨٨، ٢٩١ . ، لين بول ، قصة العرب في أسبانيا ، ص ٧٢ .

(٣٦) أندلسيات ، جـ ٢ ، ص ٢٥ ، عن عمر فروخ ، العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط ، ص ١٧٩.

(٣٧) الحجي ، أندلسيات ، ص ٣١ ، التأثيرات الاجتماعية المتبادلة ، ص ٣٩٢.

(٣٨) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٧٨ .

(٣٩) الماوردي ، نصيحة الملوك، ص ٢٦٩ ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، دار شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ١٩٨٨م.

(٤٠) ابن الجوزي ، العلل المتناهية ، جـ ٢ ، ص ٨٧١ ،٨٧٢ ، تحقيق ، خليل الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ .

(٤١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ٣٨٧ ، الموصلي : حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك، ص ص ٩٤ ، ٩٥ . .

(٤٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٤ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٤١ .

(٤٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٦٥ .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٤٥)المصدر نفسه ، ص ١٦٢-١٦٣

(٤٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٤٩) ابن سعد ،الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٥٠) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٥ ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص ٣٧٤ .

(٥١) أبو عبيد ، الأموال ، ٥٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(٥٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٠ ، ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٤٠ .

(٥٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٠ ، ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٤٠ .

(٥٤) الممتحنة ، الآية : ٨ .

(٥٥) رواه أبو داود في سننه ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب التشديد في جباية الجزية ، حديث رقم ٣٠٥٢ ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ ، يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ، ص ٧٥- ٧٦ ، انظر كذلك عبد المنعم أحمد بركة ، الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين ، ص ٩ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

(٥٦) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٥٧) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢ ، ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٣٨ .

(٥٨) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٢-٥٣ ، ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٣٨ .

(٥٩) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٣ ، يحيى بن آدم ، كتاب الخراج ، ص ٧٤-٧٥ ، أحكام أهل الذمة ، ص ٣٨، ٣٩ ، الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج ، ج١ ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٦٠) ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ص ٤٥ ، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

(٦١) محاسن المساعي في مناقب الأمام الأوزاعي ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٦٢) أبو عبيد ، الأموال ، ص ٥٣ .

(٦٣) أبو عبيد ، الأموال ، ص٤٧، ٤٩، ٥٠ ، ٧١ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٤٣ ،١٤٤.

(٦٤) أبو عبيد ، الأموال ، ص ١٦٥ ، ١٦٦.

(٦٥) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ١٥٠ .

(٦٦) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج٢ ، ص ٤٠ .

(٦٧) راوية عبد الحميد ، لتأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين والأســبان في الأنــدلس ٣٩١، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي ، العدد (١١)، مارس ٢٠٠٣

(٦٨) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ١٥١.

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

(٧٠)المصدر نفسه ، ١٨١ .

(٧١) ابن قيم الجوزية ، أحكام أهل الذمة ، ص ٢١٩ .

(٧٢)عبد الرحمن الحجي ، أندلسيات ، ج٢ ،ص٣١.

(٧٣) الأموال ، ص ١٦٦ ، انظر : بدران . عبد القادر ، تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير لإبن عساكر ، جـ ١٠ ، ص ٢١٠ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧/ ١٩٨٧ ، أبو زهرة ، العلاقات الدولية في الإسلام ، ص ٢٨ .

(٧٤) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨٥ ،٨٦ .

(٧٥) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ص ٢٤٦ .

(٧٦) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ٣ ، ص ٢٧٥ ، المزي ، تهذيب الكمال ، جـ ٦ ، ص ٤٢٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠ ، ١٩٨٠.

(٧٧) ابن النديم ، الفهرست ، ج١ ، ص ٣٣٨ ، دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ .

(٧٨) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٤، ص ١٠٩ .

(٧٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ح٧ ص٢٦٣ ،الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٦ ، ٣٦٩ .

(٨٠) يؤكد ذلك جورجي زيدان ، حيث يقول : كان الأمراء يستخدمونهم (يعني أهل الذمة) كأطباء ومترجمين وكتاب ، وكان الخلفاء في صدر الدولة العباسية يكرمون الأساقفة ويجالسونهم ، تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ ٤ ، ص ١٣٨ .

(٨١) جورجيوس بن جبرائيل : هو طبيب سريان مسيحي دو خبرة بصناعة الطب وتركيب الدواء ، خدم المنصور ، فكان يطببه ، وحظى لذلك بمكانة لديه ، ونال منه أموالاً جزيلة ، كما استخدمه المنصور في ترجمة بعض كتب اليونان إلى العربية ، وابتداء في خدمة المنصور منذ سنة(١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) ،

واستمر حتى سنة(١٥٢ هـ/٧٦٩ م)، حيث مرض جورجيوس فعاده المنصور وحزن عليه وعرض عليه الدخول في الإسلام ، إلا أنه توفي على نصرانيته سنة(١٥٢ هـ / ٧٦٩ م) ، ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، بيروت ، طـ ٤ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م جـ ٢ ، ص ص ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(٨٢)ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٣٨ ، اليوزبكي : توفيق سلطان تاريخ أهـل الذمة في العراق (١٧ / ٢١٨ هـ - ٦٣٨ / ٨٣٣ م) (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م ، ص ٣٨٤ .

(٨٣) ابن أبي إصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٤٠ .

(٨٤) المصدر نفسه

(٨٥) عيسى بن شهلا (لم أعثرله على ترجمة) .

(٨٦) ابن أبي إصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء جـ٢ ص ٤٠ .

(٨٧) المطارنة : جمع مطران ، والمطران رئيس الكهنة ، وهو فوق الأسقف ودون البطريك ، ويجمع أيظاً : مطارين ، وهو لفظ أعجمي معرَّب ، البستاني : الوافي ، مكتبة لبنان ، بيروت ،١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م ، ص ٥٩٢

(٨٨) الأساقفة :جمع أسقف ، والأسقف رئيس النصارى في الدين ، فيقال أسقفه إذا جعله أسقفا وهو اسم سرياني قصد به علماء النصارى والمتقدمين لهم في الدين ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ٣ ص ٢٠٤١ .

(٨٩) نصيبين : هي مدينة عامرة في بلاد الجزيرة (الفراتية) على طريق القوافل بين الموصل والشام فتحها عياض بن غنم سنة(١٧ هـ / ٦٣٨م) صلحا ، ونصيبين كذلك قرية من قرى حلب وهناك نصيبين ثالثة على شاطئ الفرات ، ياقوت: معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٩٠) ابن أبي إصيبعة : عيون الأبناء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٤٠ .

(٩١) المصدر نفسه .

(٩٢) بختيشوع بن جورجيوس ، ومعنى بختيشوع ، عبد المسيح ، لأن البخت في اللغة السريانية بمعنى العبد ، ويشوع عيسى عليه السلام ، تعلم مهنة الطب على يد أبيه جورجيوس فبرع فيها ، واشتهر ، فاتخذه الرشيد ، والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل طبيبا خاصا ،عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص٤١ ، الفهرست ، ص ٣٥٨ .

(٩٣) اليوزبكي : تاريخ أهل الذمة في العراق ، ص ٣٨٥، ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م جـ ١٣ ، ص ١٩٠ .

(٩٤) إبـــراهيـــم بـــن صالـــح بـــن علـــي بن عبـــد الله بن عبـــاس بـــن عبد المطـــلب الهـــاشمي ، ولي دمشق للمهـــدي ، ثم ولي لـــه مصـــر مرتـــين ، وولي الجـــزيرة لمـــوسى الهـــادي وظـــل عليهـــا حتى ولي الرشيد الخلافة فعزله، ثم أعاده الرشيد سنة(١٧٢هـــ/ ٧٨٨م)على دمشق فظل والياً عليها حتى سنة(١٧٥هـــ/٧٩١م)، ثم توفي بعدها بعام ، أي في سنة (١٧٦ هـــ / ٧٩٢ م)، ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق،جـــ ٦، ص ص ٤٤٥ ،٤٤٧ .

(٩٥) ابن وادران : تاريخ العباسين ، ص ص ٩١ ، ٩٢ .

(٩٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـــ ١٢ ، ص ٣٨ .

(٩٧) الطبـــري : تاريـــخ الأمـــم والملـــوك ، حـــ ٦ ص ٥٢٦، الـــذهبـــي: ســـير أعلام النـــلاء،جـــ ٩، ص ٦٤ .

(٩٨) يوحـــنا بن ماســـويه،خـــدم الرشيـــد والأميـــن والمأمـــون والمعتصـــم والواثـــق حتى عزلـــه المتوكـــل، وهـــو مسيـــحي ســـرياني قلـــده الرشيـــد ترجمـــة الكتـــب الطبيـــة القديمـــة ممـــا وجـــد في بـــلاد الروم التي افتتحهـــا المسلمـــون ، وجعلـــه أمنيـــا على الترجمـــة وجعـــل تحتـــه كتـــاباً يســـاعدونـــه ، وكـــان مـــع ذلك طبيبـــاً بارعـــاً ، فتذكـــر بعـــض المصـــادر أنـــه كـــان يشـــرف على طعـــام الخلفـــاء وكـــان لذلك معظما ببغداد ، ابن جلجل: طبقـــات الأطبـــاء والحكماء ، حققه فؤاد السيد ، مؤسسة الرسالة،بيروت،ط ٢ ، ١٤٠٥هـــ/ ١٩٨م ، ص ٦٥ .

(٩٩) ميخائيل الطبيب (لم أقف له على ترجمة) .

(١٠٠) ابن دحية : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، ص ٧٦ .

(١٠١) الفضل بن مروان بن ماسرجس ، يكني بأبي العباس ، استوزره المعتصم ، وهو نصراني من البردان بالشام إختان المال العام فنكبه المعتصم واستخرج منه عشرين مليون درهم ، توفي سنة (٢٥٠ هـــ / ٨٦٤ م) ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـــ ١٠ ص ٢٩٣ ، جـــ ١٢ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(١٠٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٦٠ .

(١٠٣) خضر أحمد عطاء الله : بيت الحكمة في العصر العباسي ، ص ٦١ .

(١٠٤) سهل بن مروان بن رامنوي الدستميساني ، انتقل إلى البصرة ، فارسي الأصل شعوبي المذهب ، له كتب في مثالب العرب ، ذا حكمة وفصاحة ، التحق بخدمة المأمون ، فولاه خزانة بيت الحكمة ، له مصنفات عديدة منها : كتاب ديوان الرسائل ، ثعلة وعفراء ، على غرار كليلة ودمنة ، كتاب الهذلية والمخزومية ، كتاب النمر والثعلب ، كتاب تدبير الملك والسياسة ، ابن النديم الفهرست ، ص ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(١٠٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٥١ ، انظر كذلك خضر الله ، بيت الحكمة في العصر العباسي ، ص ٦١ .

(١٠٦) أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٨١ ، هما سلمويه وإبراهيم ابنا بنان ، فعندما استخلف المعتصم سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ ، اختار لنفسه سلمويه الطبيب وأكرمه وقربه منه ، حتى انه اتخذه كاتبه الخاص فكانت كتب المعتصم إلى الدواوين تصدر بيد سلمويه ، وقد ضم سلمويه إليه في خدمة المعتصم أخاه إبراهيم ، وهما نصرانيان ، توفى سلمويه سنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م)، فحزن عليه المعتصم حزناً شديداً، ابن أبي إصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(١٠٧) النقاش النقاش : المذمة في استعمال أهل الذمة ص ٨٤ ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، مصور عن دار الكتب العربية ، القاهرة ، ميكروفيلم (٥٠) ،.

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ٨٤– ٨٥ .

(١٠٩) المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٥ ، حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، ١٢٤ ، ١٢٥.

(١١٠) المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٥، ٨٦ .

(١١١) تاريخ العباسيين ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(١١٢) المذمة في استعمال أهل الذمة ، ص ٨٦ ، ٨٧ .

(١١٣) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك جـ ٧ ، ص ٣٤٧ ، المذمة في اسعمال أهل الذمة ،

(١١٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، ص ٣٤٧ .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً المصادر :

أحمد بن حنبل الشيباني . ت ٢٤١ هـ .

١- مسند الإمام أحمد ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، د.ت .

ابن آدم . (يحيى القرشي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) .

٢- كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ٢ ، د.ت.

ابن أبي أصيبعة .

٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، بيروت ، طـ ٤ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م

البلاذري . (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) .

٤ _ أنساب الأشراف ، تحقيق إحسان عباس ، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

الترمذي . محمد بن عيسى بن سليمان . ت ٢٧٩ هـ .

٥- سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

ابن تيمية . تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م .

٦- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ص ٤٥ ، تحقيق محمد إبراهيم البنا، محمد أحمد عاشور ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

ابن جلجل . (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) .

٧ – طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ /

١٩٨٥ م .

(ابن الجوزي . عبد الرحمن بن علي ت ٥٩٧هـ .

٨- العلل المتناهية ، ، تحقيق ؛ خليل الميس ، دار الكتب العلميـــة ، بـــيروت ، ط١ ، ١٤٠٣ .

ابن خلكان . (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكـــر ت ٦٨١ هـــ / ١٢٨٢ م)

٩ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ت .

أبو داود . سليمان بن الأشعث السجستياني ت . ٢٧٥ هـ .

١٠- سنن أبي داود ، دار الفكر ، د.م ، د. ت .

الذهبي . (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م)

١١- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

ابن سعد . (محمد بن سعد بن منيع ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م) .

١٢- الطبقات الكبرى ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

الشافعي . محمد بن إدريس ت ٢٠٤ هـ

١٣- مسند الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

شهاب الدين . أحمد بن محمد الحلبي ت ٨٧٠هـ/ ١٤٦٦م

١٤- محاسن المساعي في مناقب الأمام الأوزاعي ، تحقيق ابراهيم مهدي ، مؤسسة المارد الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٩١م .

الطبري . (محمد بن جرير ت ٣١٠ / ٩٢٢ م) .

١٥- تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م .

ابن عساكر . (أبو القاسم علي بن الحسين ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .

١٦- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ، ١٤٠٧ هـ

ابن النديم

الماوردي . (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .

١٧ – الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، د.ت .

١٩٥ – نصيحة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

المزي . (جمال الدين أبو الحجاج يوسف ت ٧٤٢ هـ / ١٧٤١ م) .

١٨ – تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق ،مطبقة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧ م .

الموصلي . (محمد بن عبد الكريم الشافعي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .

١٩ – حسن السلوك الحافظ لدولة الملوك ، تحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

أبو عبيد . (القاسم بن سلام ت ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) .

٢٠ – الأموال ، تحقيق عبد الأمير مهنّا ، دار الحداثة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م

ابن قيم الجوزية . شمس الدين محمد بن أبي بكر ت ٧٥١ هـ .

٢١– أحكام أهل الذمة ، تحقيق : سيد عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

ابن النديم . (محمد بن إسحاق ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م) .

٢٢ – الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م

النقاش . (أبو أمامة محمد بن علي ت ٧٦٣ هـ /١٣٦٢م) .

٢٣ ــ المذمة في استعمال أهل الذمة ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية ، برقم (٥٠)

ابن وادران . حسين بن محمد ، كان حياً سنة ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م

٢٤- تاريخ العباسيين ، تحقيق النجي الكعبي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

ياقوت . (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .

٢٥ – معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ .

يحيى بن آدم . (القرشي ت ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) .

٢٦ – كتاب الخراج ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار التراث ، القاهرة ، د.ت .

ثانياً المراجع :

بدران . عبد القادر .

١- تهذيب تاريخ مدينة دمشق الكبير لإبن عساكر ، جـ ١٠ ، ص ٢١٠ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧/ ١٩٨٧ .

البستاني . عبد الله

٢ ــ الوافي معجم وسيط اللغة العربية، مكتبة لبنان ، بيروت ،هـ١٤٠٠/١٩٨٠م.

الحجي ، عبد الرحمن علي (الدكتور)

٣- أندلسيات ، دار الإرشاد ، د.م ، ط١ ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ م .

راوية عبد الحميد

٤- التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين المسلمين والأسبان في الأنـــدلس ٣٩١، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد (١١)، مارس ٢٠٠٣.

خضر أحمد عطاء الله (الدكتور)

٥ ــ بيت الحكمة في عصر العباسيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط١ ، د.ت .

وافي . علي عبد الواحد (الدكتور)

٦- حقوق الإنسان في الإسلام ، ، نهضة مصر ، القاهرة ، ط٥ ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٩م .

المودودي .أبو الأعالى

٧- نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ، نقله إلى العربية جليل حسن الإصلاحي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ٣٤٢ .

اليوزبكي : توفيق سلطان

٨- تاريخ أهـــل الذمة في العراق (١٧ / ٢١٨ هـ - ٦٣٨ / ٨٣٣ م) (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب جامعة عين شمس ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م، ص٣٨٤ .

٩- ول ديورانت :

قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م جـ ١٣ ، ص ١٩٠ .